وصف مصر فى كتاب « حدود العالم من المشرق الى المغرب »

بقـــلم

الأستاذ الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم

يعتبر كتاب « حدود العالم من المشرق الى المغرب » أقدم كتاب فارسى موجود بين أيدينا عن جغرافية العالم ، وقبل أن نبدأ فى الحديث عنه وتفصيل القول فى محتوياته ، نود أولا أن نعرض عرضا سريعا لجهود الفرس فى التأليف فى هذا المجال عبر العصور المختلفة ٠

بدأ التـــأليف فى لم الجغـرافيا باللغـــة الفارســـية منـــذ القـرن الرابع الهجـــرى (العـــاشر الميـــلادى) ، غيـر أن هنـــاك كتبا ألفت من قبل فى هذا العلم باللغة البهلوية ككتاب « شهرستانهاى ايران » (أى : مدن ايران) ، كمـــا أن هناك معلومات واشـــارات جغرافية وردت فى كتاب الـ « بندهشن » (١) ، وهذه الكتب لم تكن باللغة الفارسية الاسلامية ، ولدينا أيضا ما كتبه العلماء الايرانيون باللغة العربية فى هذا المجال ٠

ومن أقدم الكتب التى ألفت باللغة الفارسية الاسلامية وأشهرها كتاب « حدود العالم » (١) وهو من كتب الجغرافيا القيمة ، خاصة وأنه يحتوى على معلومات مفيدة حول آسيا الوسطى وقد ألف هذا الكتاب عام ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م)

---

(١) بندهشن : كتاب من الكتب الدينية المكتوبة باللغة البهلوية ، ويحتوى على ستة وأربعين فصلا ، ويدور حول خلق الدنيا بواسطة أوهر مزد ومخالفة أهرمن له ، وكيفية الخلق وموضوع القيامة ٠ ويعتبر الفصل السابع عشر من أهم فصوله ، فهو يبدأ بتعريف الخلق ، وخلق الجماد والنبات والحيوان ، ويتناول ضمنا بعض الموضوعات المتفرقة كالحديث عن الملائكة والشياطين والخير والشر ، وذكر ولايات ايران والافات التى تصيب ايران كل الف عام ٠ (انظر تاريخ أدبيات ايران ـ دكتر صادق زاده شفق

طبـــع هذا الكتاب أربـــع مرات حتى الان ، وتعد الطبعـــة التى اعتمدنا عليهـا أفضل هذه الطبعات ، وهى من مطبوعات كلية الاداب ـ جامعة كابول عام ١٣٤٢ ش وبها المقدمة التى كتبها المستشرق بارتولد والتعليقات التى سجلها مينورسكى على هذا الكتاب ، وقام بترجمة المقدمة والتعليقات الاستاذ مير حسين شاه الى اللغة الفارسـية مع متن كتاب حدود العالم نفسه وصورة من مخطوطة الكتاب ٠

فى وصف الأرض وأقسامها ونواحيها وبلادها وأقوامها وأحوالهم وأمثـــال هذه الأمور ، وقدم باسم محمد بن أحمـــــد الفريغونى من أسرة الفريغونيين المشهورة التى كانت تحكم فى كوزكانان ، وكانوا تابعين للساسانيين ، وقد عاصر هذا الحالكم نوح بن منصور السامانى ٠

ومن الكتب الأخرى التى ألفت فى نفس هذه الفترة ـ أى فى أوائل القرن الرابع ـ كتاب حول « عجائب البر والبحر » أو « عجائب البلاد » ، لأبى المؤيد البلخى الشاعر الكاتب الذى عاش فى أوائل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، ويعد هذا الكتاب من جملة المصادر التى اعتمد عليها مـؤلف كتاب « تاريخ سيستان » ٠ وقد قدمه أبو المؤيد البلخى لأبى القاسم نوح بن منصور الذى تولى الملك عام ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) ٠

وهناك كتاب هام فى الجغرافيا ألفه أديب ايرانى شهير هو ناصر خسرو القبادیانى البلخى (م عام ٤٨١ هـ = ١٠٨٨ م) ، وهو كتاب الرحلات المعروف باسم « سفر نامه » وكان مؤلفه قد بدأ رحلته ـ التى استمرت سبع ســنوات منذ عام ٤٣٧ هـ ـ قاصدا الحجاز ٠ ووصل حتى شمال افريقيا ، ثم عاد الى ايران عام ٤٤٤ هـ ، وكانت حصيلة هذا السفر هذا الكتاب الذى تضمن معلومات جغرافية وتاريخية دقيقة وقيمة ، وبيانا عن عادات الشعوب وتقاليدها فى البلدان المختلفة (١) ٠

وفى القرن السابع حدث تطور في التأليف فى علم الجغرافيا ، عنــدما ظهر كتابان هما : « عجائب المخلوقات » و « آثار البلاد وأخبار العباد » لزكريا القزوينى (م ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ م) وهما فى حكم دائرة المعارف التي تتناول العالم والمخلوقات والبلاد ، وبها معلومات تفصيلية فى الجغرافية الطبيعية والسكانية وأمثال ذلك ٠ وقد أثر هذا التطور تأثيرا مباشرا على حمد الله المستوفي القزوينى ، ذلك العالم والمؤلف الذى عاش فى القرن الثامن عندما ألف كتابه الفارسى المعروف باسم « نزهة القلوب » عام ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) ، ويشتمل

---

(١) طبع هذا الكتاب عدة طبعات من أهمها الطبعة التى نشرها الاستاذ دبير سياقى وجمع فيها كل المقدمات التى كتبت على الطبعات السابقة ، وتم طبعه فى تهران عام ١٣٣٥ ش ٠

هذا الكتاب على مقدمة وثلاث مقالات وخاتمة · وتأثر فى المقدمة والمقالتين الأوليين بأسلوب زكريا القزوينى حول ابداع الأفلاك والنجوم والعناصر والربع المسكون وتكوين المواليد الثلاثة (المعدن والنبات والحيوان) ، وتناول فيه الانسان باسهاب كبير · أما المقالة الثالثة فهى فى وصف البلدان والولايات والبقاع ، وهى على أربعة أقسام : القسم الأول فى ذكر الحرمين الشريفين ، والقسم الثانى فى شرح أحوال بلاد ايران ، والقسم الثالث فى ذكر البـــلاد المجاورة لايران ، والقسم الرابع فى ذكر الأبنية العالية المشهورة الموجودة فى ولايات الربع المسكون ·

ويتوالى التأليف فى هذا وعلم ، وتؤلف كتب حول الأسفار والرحلات فى العصر القاجارى والعصور التالية ، كما تترجم بعض كتب الرحلات (سفر نامه ها) والكتب الجغرافية ·

ويمكننا أن نضيف الى كتب الجغرافيا السالفة الذكر بعض الكتب التي تناولت التواريخ المحلية ، أى كتب التاريخ التى تتحدث عن مدينة أو ولاية بعينها ، ذلك لأنها تحتوى على معلومات جغرافية بجانب احتوائها عـلى معلومات قيمة عن العلماء والأدباء المحليين والأسر الحاكمة الصغيرة والعلاقات بينها وبين الحكام الكبار وغير ذلك · كما توفر معلومات جـــول الزراعة والضرائب والعادات والمساجد والمدارس والمزارات وأمثال هذه الأمور ·

وأقدم الكتب الفارسية في هذا الصدد كتاب « تاريخ سيستان » وهـو من الكتب الفارسية القيمة ، وقد كتب القسم الأعظم منه في القرن الرابع وأوائل القرن الخامس ويختلف هذا القسم من ناحية أسلوبه مع القسم الآخر الذى ألف في أوائل القرن الثامن الهجرى · ويتناول القسم الأول من الكتاب الأحداث حتى عام ٤٤٤ هـ ، أى حتى أوائل عهد سيطرة السلاجقة ، وقد استفاد مؤلفه فى هذا القسم من المصادر القديمة بل ومن بعض المصادر البهلوية أيضا ، ومن هنا ندرك مدى أهميته بالنسبة للباحثين حول هذه المنطقة · أما القسم الثانى فيتناول الأحداث حتى عام ٧٢٥ هـ ·

كما يوجد كتاب آخر حول تاريخ سيستان وهو « احياء الملوك » الذى تناول فيه مؤلفه ملك شاه حسين السيستاني تاريخ هذه البلاد منذ أقدم العصور

وحتى عام ١٠٢٨ هـ واستفاد فى تأليفه من الروايات القديمة (١) ٠

وقام أبو بكر محمد بن جعفر النرشخى (م ٣٤٨ هـ = ٩٥٩ م) بتأليف كتاب عن تاريخ بخارى وهو كتاب « تاريخ بخارا » أو « مزارات بخارا » ، وهو مؤلف أصلا باللغة العربية ، ثم قام بترجمته الى اللغة الفارسية فى أوائل القرن السادس الهجرى أبو نصر القبادى ، وأضاف اليه موضوعات من مصادر أخرى ، ثم لخصه فيما بعد محمد بن زفر (٢) ٠

ومن الكتب القيمة فى هذا الصدد أيضا كتاب « تاريخ طبرستان » لبهاء الدين محمد بن حسن اسفنديار الكاتب الطبرستانى الذى عاش فى طبرستان وبغداد والرى وخوارزم ، وقد اعتمد ابن اسفنديار فى تأليف كتابه على كتاب أبى الحسن اليزدادى المؤلف باللغة العربية، ويحتوى هذا الكتاب على معلومات مفيدة حول مازندران ، ويمكن اعتباره أساسا للمؤلفات الأخرى التى كتبت عن طبرستان ورويانظن مثل كتاب « تاريخ رويان » لأولياء الله الآملى الذى ألف فى القرن السابع ، و « تاريخ طبرستان ورويان ومازندران » لسيد ظهير الدين المرعشى الذى تم تأليفه عام ٨٩٢ هـ ٠

وفى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى (النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى) ألف أفضل الدين أبو حامد الكرمانى الملقب بـ « أفضل كرمان » ، عدة مؤلفات عن أحداث كرمان ، ومنها كتاب « عقد العلى للموقف الأعلى » فى خمسة أقسام ، يتناول فى القسم الأول والثانى منه تاريخ أواخر عصر سلاجقة كرمان والغز ، ويتناول فى القسم الثالث بعض المعلومات الجغرافية القيمة عن بلاد كرمان ٠ ومن كتبه أيضا كتاب « بدايع الأزمان » ويتضمن معلومات مفصلة عن جغرافية كرمان وشرح لنواحيها المختلفة وتاريخها منذ أقدم العصور وحتى عصر المؤلف ، أى عصر استيلاء الغز ٠ الا أن ما تبقى منه هو الجزء الخاص بدولة القاورديين ، أما الأحداث الخاصة بعصر ما بعد القاورديين ـ أى أحداث سيطرة أمراء الغز وملوك شبانكاره وأتابكة فارس وسيطرة الخوارزمشاهيين من آل اتسز على كرمان فقد تحدث

---

(١) المقصود بها اليوم الفيوم وهى كما قال ياقوت: « بالفتح وتشديد ثانية ثم واو

(٢) انظر « تاريخ بخارا ـ طبعة تهران ١٣١٧ ش بتصحيح مدرس رضوى ٠

عنها فى كتاب آخر هو « المضاف الى بدايع الأزمان » ، والواقع أنه ألفه كذيل على « بدايع الأزمان » ، ويتضح تأثير كتابه « بدايع الأزمان » هذا على كتاب « تاريخ سلاجقة كرمان » لمحمد بن ابراهيم ، المؤلف فى القرن الحادى عشر الهجـــرى ٠

ويلى هذا الكتاب فى الأهمية كتاب آخر عن كرمان هو « سمط العـــلى للحضرة العليا » لناصر الدين منشى الكرمانى ، وهو من كتاب القرنين السادس والسابع الهجريين ، كما أنه ترجم الى اللغة الفارسية كتاب « تتمة صوان الحكمة » لأبى الحسن على بن زيد البيهقى ، وأطلق على هذه الترجمة اســم « درة الأخبار ولمعة الأنوار » وقدمها الى غياث الدين محمد الوزير ابن خواجه رشيد الدين فضل الله ، ويتضمن « سمط العلى » ٠٠ تاريخ الملوك القراختائيين فى كرمان والأحداث التى وقعت بين عامى ٦١٩ و ٧٠٣ هـ ٠

وهناك كتاب قيم لابن البلخى وهو كتــاب « فارسنامه » ، ويعــد من المصادر الفارسية الهامة التى تتناول تاريخ ايران قبل الاسلام وجغــرافية بلاد فارس ، وكان مؤلفه يتولى أمر الديوان فى فارس ، وألف كتابه هذا بعد أن جمع معلومات كافية عن تاريخ فارس وجغرافيتها ٠ وقد عاصر الســلطان محمد بن ملكشاه الذى تولى ملك السلاجقة عام ٤٩٨ هـ (١١٠٤ م) ٠

نذكر أيضا كتاب « شيراز نامه » لأحمد بن أبى الخير زركوب المؤلف فى القرن السادس الهجرى ، ويحتوى على معلومات جغرافية وتاريخية مفيدة عن شيراز وفارس ٠ وكتاب « مزارات شيراز » أو « الألف مزار » لعيسى بن جنيد ، وهو ترجمة فارسية للكتاب المشهور « شد الازار » لأبى القاسم جنيد بن محمود الشيرازى المؤلف سنة ٧٩٦ هـ ٠

وهناك كتاب مفصل عن فارس هو « فارسنامه ناصرى » ألفه الحـــاج ميرزا حسن حسينى فسائى باسم ناصر الدين شاه قاجار ، ويشـــتمل على قسمين يتناول مؤلفه فى الأول الأحداث التاريخية التى وقعت فى فارس حتى سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ، ويتناول فى الثانى جغرافية شيراز وكافة نواحى فارس والجزر التابعة لها والعيون والأنهار الموجودة فى تلك البلاد ٠

وفي أواخر القرن السادس الهجري ألف أبو الحسن علي بن زيد البيهقي كتابا باسم « تاريخ بيهق » ، وهو من الكتب الفارسية القيمة التي تحتوي على معلومات هامة بالنسبة لبيهق وعظمائها وأسرها المعروفة ومدارسها وعلمائها وأدبائها ٠

وهناك كتاب عن نيشابور ونواحيها ، ألفه بالعربية أصلا أبو عبد الله النيشابوري في عدة مجلدات (أواخر القرن الرابع الهجري) ، ولدينا مختصر له بالفارسية قام به أحمد بن محمد بن حسن النيشابوري المعروف بـ « خليفه » وهو يتضمن معلومات وافية عن رجال نيشابور وابنتيها ومساجدها وقلاعها وقراها ومقابرها ومجلاتها ٠

ومن أهم الكتب التي تحدثت عن مدينة هرات كتابان ، أولهما هو «تاريخ نامهء هرات » لسيف بن محمد بن يعقوب الهروي الذي ألفه في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ٠ وينتهي حتى أحداث عام ٧٢١ هـ = ١٣٢١ م) ، وثانيهما هو « روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات » لمعين الدين محمد الاسفزاري الذي ألفه عام ٨٩٩ هـ (= ١٤٩٣ م) ، ويشتمل على معلومات قيمة عن الوضع الجغرافي والتاريخي لهرات وعدد آخر من بلاد خراسان مثل نيشابور وبلخ وطوس ومرو وغيرها ٠

أما بالنسبة لأصفهان فهناك ترجمة فارسية لكتاب « محاسن اصفهان » للمافروخي ، وهو من علماء القرن الخامس الهجري ، وقام بهذه الترجمة حسين بن محمد الآوي عام ٧٢٩ هـ (= ١٣٢٨ م) ، وهناك أيضا كتاب « نصف جهان » لمحمد مهدي الأصفهاني المؤلف سنة ١٣٠٣ هـ (= ١٨٨٥ م)٠ وعن كاشان ألف عبد الرحيم ضرابي المتخلص بـ « سهيل الكاشاني » كتاب « مرآة قاشان » وذلك عام ١٢٨٨ هـ (= ١٨٧١ م) ٠ وهناك عن مدينة قم ترجمة فارسية لتاريخ قم (تأليف حسن بن محمد بن حسن القمي) ، وقد أعد هذه الترجمة حسن بن علي القمي عام ١٨٠٥ هـ (= ١٤٠٢ م) ، وعن سمرقند نذكر كتاب « قنديه » في شرح مزارات سمرقند ٠

أما عن يزيد وتاريخها ، فهناك كتاب لجعفر بن محمد بن حسن الجعفري في القرن التاسع الهجري ، وكتاب آخر يعرف بـ « تاريخ جديد يزد » لأحمد

ابن حسين بن على الكاتب فى أواخر نفس ذلك القرن · وهذان الكتابان مهمان من ناحية اشتمالهما على موضوعات ومعلومات متنوعة تاريخية وجغـرافية كما تناولا الأحوال الاجتماعية والزراعية ، وتحدثا عن مدارس يزود مساجدها وغير ذلك · هذه المجموعة من المصادر التى ذكرناها كمقدمة لموضوع هذا البحث لا غنى عنها لأى باحث فى جغرافية ايران وتاريخها ، وهى أن دلت على شىء فانما تدل على اهتمام الايرانيين بعلمى التاريخ والجغرافية كغيرهما من العلوم الأخرى ، وقد برع فى هذا المجال العديد من كتاب الفرس سواء من كتب منهم بالعربية أو بالفارسية (١) ·

أما بالنسبة لكتاب « حدود العالم من المشرق الى المغرب » وهو الذى يدور عليه محور بحثنا، فان المخطوطة التى اعتمد الباحثون عليها فى نشر هذا الكتاب قد نسخت عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) بواسطة أبى المؤيد عبد القيوم بن الحسين بن على الفارسى · وتشتمل هذه المخطوطة على تسع وثلاثين ورقـة · ويرجع الفضل فى تعريف الباحثين بهذا الكتـــاب الى المستشرق تومانسكى A.G. Taumdnsku بعد أن قدم اليه العالم البهائى ميرزا أبو الفضل كلبايكانى نسخة من مخطوطة هذا الكتاب عام ١٨٩٣ م فى بخـــارى ، ولم ينشرها تومانسكى على الفور ، بل نشر فى بداية الأمر مقالة عام ١٨٩٦ م تنـاول فيها الظروف التى انتهت باكتشاف هذا الكتاب كما ضمنها معلومات عنه ، ونشر نماذج منه مع ترجمة روسية لها · وقد تولى المستشرق الروسى بارتولد (م ١٩٣١ م) فيما بعد نشر هذا الكتاب وكتابة مقدمة له ·

أما عن مؤلف هذا الكتاب فهو مجهول حتى وقتنا هذا ، ولكن يستفاد من المقدمة التى كتبها أنه أهداه الى أحد حكام كوز كانان عندما يقول : « باليمن والسعادة والشكر لله القادر الخالد ، خالق الدنيا ، وميسر الأمور ، وهادى

---

(١) أنظر فى هذا الموضوع كتاب « كنجينهء سخن » تأليف الدكتور ذبيح الله صفا الطبعة الثالثة ـ تهران ١٣٥٣ ش الجزء الاول ص ١٠٢ وما بعدها · وأنظر أيضا فى مجال المؤلفات التاريخية والجغرافية الكتب التالية :

ـ تاريخ أدبيات در ايران ـ دكتر ذبيح الله صفا ـ ثلاثة مجلدات ·

ـ هزار سال نثربارسى ـ كريم كشاورز ـ خمسة مجلدات ·

ـ تاريخ أدبيات ايران ـ دكتر صادق رضا زاده شفق ـ مجلد واحد ·

ـ سبك شناسى ـ محمد تقى بهار ـ ثلاث مجلدات ·

عبيده الى مختلف العلوم ، والصلاة والسلام على محمد (ص) وكـــافة الأنبياء ، بدأ تأليف هذا الكتاب بيمن ونصر وحسن طالع الأمير السيد الملك العادل أبى الحرث محمد بن أحمد مولى أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه وسعادة أيامه ـ فى وصف الأرض عام ٣٧٢ من هجرة النبى صلوات الله عليه ٠٠ » ٠

وقد قسم المؤلف كتابه الى واحد وستين فصلا بمـــا فى ذلك المقدمة والخاتمة ، تحدث فى الفصول الأولى منها عن طبيعة الأرض والبحار والخلجان والجزر والجبال ، وما بها من معادن والأنهار والصحارى ، ثم تحدث عن البلدان المختلفة ومدنها كالصين والهند وما وراء النهر والشام والعـــراق وغير ذلك ، وفى الفصل التاسع والثلاثين تناول مصر ومدنها وقال فى خاتمة كتابه « هذه هى كافة المناطق العامرة الموجودة فى العالم من مسلمة وكافرة، وشرقية وغربية ، وشمالية وجنوبية ، وقد ذكرنا فى هذا الكتاب ما اطلعنا عليه فى كل المصادر وتركنا الحشو الزائد » ٠

وقد أوجز لنا المؤلف فى مقدمة كتابه الموضوعات التى تناولها فقال : « ٠٠٠ وبينا فيه صفة الأرض وطبيعتها ، ومقدار العمران والخراب فيها ، وأوضحنا كل نواحى الأرض وممالكها ، ما هو معروف منها ، مع أحوال كل قوم من أقوامها ، ورسوم ملوكها كما هو موجود على أيامنا ، مع كل ما تنتجه كل ناحية ، وتحدثنا عن كل مدن الدنيا التى وجدنا خبرا عنها فى كتب السابقين، وما ذكره الحكماء عن أحوالها من حيث الكبر والصغر ، أو قلة الخيرات والأموال وكثرتها ، وعن سكانها وعمرانها وخرابها ، وطبيعة كل مدينة من حيث الجبال والأنهار والبحار والصحراء وما تنتجه ٠ وأوضحنا طبيعة بحار الدنيا جميعها وأماكنها سواء الصغيرة منها أو الكبيرة ، والغدران التى يسمونها بالخليج ، وما يخرج منها ٠ وتحدثنا عن كل الجزر الكبيرة وحالتها العمرانية والخرابية وأحوال أهلها وما تنتجه كل جزيرة ، وتحدثنا عن الجبال الأصلية فى العالم والمعادن المختلفة الموجودة بها ، والحيوانات التى تعيش فيها ٠ وبينا كل الأنهار الكبيرة الموجودة فى العالم وما يخرج منها ، ومـــا تصب منها فى البحار أو تستخدم فى الزراعة والبذر ، خاصة تلك الأنهـــار التى يمكن مرور السفن منها ، والأنهار الصغيرة ٠ وتناولنا كل الصحـــارى المعروفة فى العالم ومساحاتها من حيث الطول والعرض » ٠

أما عن المصادر التى اعتمد عليها المؤلف ، فانه لا يذكر منها شيئا ، ولكن يشير الى أنه استقى معلوماته من مصادر متنوعة حصل عليها ، ولابد أنه كان بين يديه العديد من المصادر العربية والفارسية التى اعتمد عليها فى تأليف كتابه هذا ، خاصة وأنه يتناول بلدان شتى ويصف مدنها وما تنتجه وغير ذلك من المعلومات التى لا تتاح الا عن طريق كم كبير من المصـــادر الجغرافية ، ويذكر بارتولد فى مقدمته أنه اعتمد على مؤلفـــات بطليموس الجغرافية ٠

وقد تناول المؤلف عند حديثه عن مصر (فى الباب التاسع والثلاثين) حدودها وموقعها وأهم مدنها وحالتها من العمران والخيرات وما تنتجـــه وما تشتهر به عن غيرها من المدن ، فتحدث عن ثلاث عشر مدينة من مدنها ، وقد تطابق كثير مما ذكره مع ما جاء فى المصادر الجغرافية الأخرى ، وسيتضح هذا من التعليقات التى قمت بكتابتها على الجزء المترجم ٠

ترجمة النص الذى ورد عن مصر فى كتاب « حدود العالم » ٠

« الحديث عن ناحية مصر ومدنها » ٠

هى ناحية تحدها من الشرق بعض حدود الشام وبعض صحارى مصر ، وتحدها من الجنوب حدود النوبة ، ومن الغرب بعض حدود المغرب وبعض الصحارى التى تسمى بالواحات ، ويحدها من الشمال بحر الروم ٠ وهى أغنى ناحية فى الاسلام ، وبها مدن كثيرة كلها عامرة ورغدة وغنية بالنعم والخيرات الكثيرة والمتعددة ، وتنتج فيها الملابس والأقمشة والأردية التى لا يوجـد فى العالم كله أقيم منها ، كالصوف المصرى والملابس والأقمشة الدبيقية (١) والحريرية ٠

---

(١) دبيقى : نسبة الى دبيق وهى كما يقول ياقوت « بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر ٠٠٠ تنسب اليها الثياب الدبيقية » (أنظر معجم البلدان المجلد الرابع ص ٣٤ ، الطبعة الاولى ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م مطبعة السعادة بمصر) ٠

وتوجد فى هذه الناحية حمير جيدة ذات قيمة · **الفسطاط** (١): عاصمة مصر ، وهى أغنى مدينة فى العالم ، غاية فى العمران والخيرات الكثيرة ، وتقع شرق نهر النيل وبها قبر الشافعى رحمة الله عليه · **دميرة** (٢) **ودنقرا** : مدينتان تقعان شرق نهر النيل ، وهما عامرتان وذاتا نعم كثيرة ، وتنتجان الكتان الجيد ·

فرما (١) : مدينة تقع على شاطىء تنيس ، ويوجد وسط رمالها آبار ،

---

(١) يقول عنها ياقوت : « ··· وللعرب ست لغات فى الفسطاط يقال فسطاط بضم أوله وفسطاط بكره ··· وفى الحديث عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط يريد المدينة التى يجتمع فيها الناس ، وكل مدينة فسطاط قال وقيل لمدينة مصر التى بناها عمرو بن العاص الفسطاط ··· » (أنظر معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٨٠) ·

أما ابن حوقل فيقول عنها : « الفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها فرسخ على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة ، ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام ومتاجر فخام وممالك جسام الى ظاهر أنيق وهواء رقيق وبساتين نضرة ومتنزهات على مر الايام خضرة ، وبالفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها محالهم كالكوفة والبصرة ، ·· وفيها خمس مساجد وحمامان ، ومعظم بنيانهم بالطوب وأكثر سفل بيوتهم مسكون وبها مسجدان لصلاة الجمعة » (أنظر كتاب صورة الارض ـ ابن حوقل ـ ليدن ١٩٦٧ م ص ١٤٦ ـ القسم الاول) ·

ويضيف الاصطخرى فى كتابه « مسالك الممالك » ص ٤٩ أن المسجدين بنى أحدهما عمرو بن العاص فى وسط الاسواق ، والاخر بأعلى الموقف بناء أحمد بن طولون · (أنظر الكتاب المذكور طبعة ليدن ١٩٦٧ م) ·

(٢) يقول عنها ياقوت : « قرية كبيرة بمصر قرب دمياط ··· وهما دميرتان احداهما تقابل الاخرى على شاطىء النيل فى طريق دمياط ·· » (معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٥)

(١) يقول ياقوت عنها : « الفرما مدينة على الساحل من ناحية مصر ··· وقال الحسن بن محمد المهلبى : وأما الفرما فحصن على ضفة البحر لطيف لكنه فاسد الهواء لانه من كل جهة حوله سباخ تتوحل فلا تكاد تنضب صيفا ولا شتاء ، وليس بها زرع ولا ماء يشرب الا ماء المطر فانه يخزن فى الجباب ويخزنون أيضا ماء النيل يحمل اليهم فى المراكب من تنيس ·· » (معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٦٧) ويقول عنها الاصطخرى : « والفرما على شاطىء البحيرة وهى مدينة صغيرة خصبة وبها قبر جالينوس اليونانى ، ومن الفرما الى تنيس نحو فرسخين فى البحيرة » · (أنظر مسالك الممالك ص ٥٣) ·

وهناك قبر جالينوس · تنيس ودمياط (٢) : مدينتان وسط بحر تنيس على جزيرتين ولا توجد بهما زراعة ، وتنتج هناك الأقمشة الصوفية والكتانية القيمة ·

الاسكندرية (١) : وهى تتصل من ناحيتين ببحر الروم وببحر تنيس ،

(١) ذكر ياقوت فى معجمه : « ··· قال أهل السير بنى الاسكندر ثلاث عشر مدينة وسماها كلها باسمه ثم تغيرت أساميها بعده وصار لكل واحدة منها اسم جديد ··· ومنها الاسكندرية العظمى التى ببلاد مصر ··· وأما خبر المنارة فقد رووا لها أخبارا هائلة ـ وادعوا لها دعاوى عن الصدق عادلة وعن الحق مائلة ·· وذكر ابن زولاق أن طول منارة الاسكندرية مائتا ذراع وثلاثون ذراعا وأنها كانت فى وسط البلد وانما الماء طفح على ما حولها فأخربه وبقيت هى لكون مكانها كان مشرفا على غيره ···· » (معجم البلدان ـ حـ ١ ص ٢٣٦ وما بعدها) ·

ويتحدث ابن حوقل عن مصر ومدنها فيقول : « ومن مشاهير مدنها وعجيب اثارها الاسكندرية ··· وفيها المنارة المشهورة المبنية بالحجارة المركبة المنصبة بالرصاص وليس بجميع الارض لمنارتها نظير يدانيها أو يقاربها فى أشكالها ومبانيها وعجائبها ومعانيها » (صورة الارض ـ القسم الاول ص ١٥٠ ، ١٥١) ·

(٢) يقول ياقوت : « تنيس بكسرتين وتشديد النون وياء ساكنة والسين مهملة جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين دمياط والفرما ··· » (معجم البلدان جـ ٢ ص ٤١٩) و « دمياط مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل ··· وهى ثغر من ثغور الاسلام ··· ويبلغ الثوب الابيض بدمياط وليس فيه ذهب ثلاثمائة دينار ولا يعمل بدمياط مصبوغ ولا بتنيس أبيض وهما حاضرتا البحـر ·· » (معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٥ وما بعدها) ·

ويتحدث ابن حوقل عن تنيس ودمياط فيقول : « ··· ومن جليل مدنها وفاخـر خواصها ما خصت به تنيس ودمياط وهما جزيرتان بين الماء الملح والعذب أكثر السنة فى وجه النيل ، لا زرع فيهما ولا ضرع بهما ، وفيهما يتخذ ويعمل رفيع الكتاب وثياب الشرب والدبيقى والمصبغات من الجلل التنيسية التى ليس فى جميع الارض ما يدانيها فى القيمة والحسن والنعمة والدقة والرقة والترف ، وربما بلغت الحلة من ثيابها مائتين دنانير اذا كان فيها ذهب وقد يبلغ مالا ذهب فيه منها مائة دينار » (صورة الارض ـ القسم الاول ص ١٥٢) ·

ويضيف الاصطخرى الى المعلومات السابقة عن تنيس ودمياط معلومة أخرى حين يقول : ··· وبهما سمكة تسمى بسمكة الدلفين وسمكة اذا أكلها الانسان رأى منامات هائلة » · (مسالك الممالك ص ٥٢) ·

ويتحدث الاصطخرى عن منارة الاسكندرية فيقول : « ··· وبها منارة قد أسست فى الماء فى صخر رفيع السمك جدا تشتمل على زيادة من ثلاثمائة بيت لا يصل اليها المرتقى اليها الا بدليل » · (مسالك الممالك ص ٥١) ·

وبها منارة يقال أن طولها مائتى ذراع ونيف ، أقيمت على حجر وسط الماء ، وكلما هبت الرياح اهتزت بحيث لا يمكن رؤية ذلك · الهرمان : وهما بناءات أقيما فوق جبل بالقرب من الفسطاط ، وملاطها من مادة لا يؤثر فيها أى شيء، وطول كل منهما أربعمائة ذراع ، وعرضه أربعمائة ذراع ، وارتفاعه أربعمائة ذراع ، وقد أقيمت بداخلهما غرف احداها ضيقة ، وأقامهما هرمس قبل الطوفان عندما عام بقرب حدوثه ، وشيدهما بحيث لا يؤثر فيهما الماء · وقد كتب عليهما بالعربية : « بنيناها بقدرة فمن أراد أن يعلم كيف بنيناها فليخربها » · وحفر عليها كثير من العلوم كالطب والنجوم والهندسة والفلسفة ·

فيون (١) : وهى مدينة صغيرة تقع غرب النيل وبها مياه جارية وفيرة غير النيل · **بوصير** (٢) : وهى مدينة تقع شرق النيل وبها معابد للفراعنة ، وكانوا يقومون فيها بأعمال السحر · ويوجد فى نهر النيل تماسيح كثيرة فى كل مكان تخطف الدواب من على شاطىء النيل ، وعندما تصل الى هذه المدينة كانوا يسحرونها حتى تصبح ضعيفة ولا يمكنها ايذاء أحد ، ويمسكون صغارها ويركبون فوقها فى الماء ويسيرون بها دون أن تضرهم على الاطلاق ، فى حين أنها حينما تكون فى مكان آخر تكون مؤذية ·

اشعونين (٣) واخميم (٤) والبلينا (٥) : وهى ثلاث مدن تقع على الشاطىء الغربى للنيل ، وهى عامرة ورغدة وذات خيرات وفيرة ، وتكثر بها

---

(١) المقصود بها اليوم الفيوم وهى كما قال ياقوت: «بالفتح وتشديد ثانية ثم واو ساكنة وميم وهى فى موضعين أحدهما بمصر والاخر موضع قريب فى هيت بالعراق ، فأما التى بمصر فهى ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام ··· » (معجم البلدان ج ٦ ص ٤١٤ وما بعدها) ·

(٢) « بوصير بكسر الصاد وياء ساكنة وراء · اسم لاربع قرى بمصر » ··· (معجم البلدان ج ٢ ص ٢٠٦) ·

(٣) اعتقد أن المقصود بها أشمونين وهى كما يقو الاصطخرى : « ··· مدينة صغيرة عامرة ذات نخيل وزروع ويرتفع فى الاشمونين ثياب كثيرة ··· » (مسالك الممالك ص ٥٣) ·

(٤) و (٥) يذكر ابن حوقل هاتين المدينتين فيقول : « والبلينا واخميم مدينتان متقاربتان فى العمارة صغيرتان عامرتان بالنخل والزرع ·· » (صورة الارض ص ١٥٩) ·

ويقول ياقوت عن اخميم : « بالكسر ثم السكون وكسر الميم وياء ساكنة وميم أخرى بلد بالصعيد فى الاقليم الثانى ··· » (معجم البلدان ج ١ ص ١٥٣) ·

أشجار الأبنوس . **سوان** (١) : وهى آخر مدن مصر ، وهى ثغر قريب من بلاد النوبة يقع غرب النيل ، وهى مدينة ذات أموال وفيرة ورجال محاربين ، ويوجد فى الجبال القريبة منها من الواحات معدن الزمرد والزبرجد ، ولا يوجد هذا فى كل العالم سوى هنا ، ويوجد فى جبال الواحات الخراف الوحشية ، ويوجد بعد اسوان - على الحدود بين مصر والنوبة - حمر وحشية مخططة وسوداء وصفراء وخراف ، وعندما تخرجها من هناك تموت » .

---

(١) يقول ياقوت : « اسوان بالضم ثم السكون وواو والف ونون ووجدته بخط أبى سعيد السكرى سوان بغير همزه ، وهى مدينة كبيرة وكورة فى اخر صعيد مصر يلى بلاد النوبة على النيل فى شرقيه ... ... » (معجم البلدان جـ ١ ص ٢٤٨) .

ويقول عنها ابن حوقل : « ومدينة اسوان كثيرة النخيل غزيرة الغلات من التمور قليلة الزروع ، وهى أكبر مدن الصعيد » (صورة الارض ص ١٥٩) .